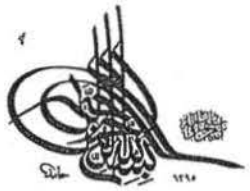

TARİHTE ve GÜNÜMÜZDE
SELEFÎLİK

Milletlerarası Tartışmalı İlmî Toplantı
08-10 Kasım 2013

Topkapı Eresin Hotel, İstanbul

İstanbul 2014

السلفية مدرسة فكرية وليست دينا جديدا

عبد الله أنس♦

الاخوة الافاضل و الاخوات الفضليات المشاركون في الندوة العالمية حول " *السلفية في التاريخ و في يومنا*" هذا وأخص وقف دراسات العلوم الاسلامية في اسطنبول، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كما أشكر أيضا المركز على هذه الالتفاتة القيمة وتأتي قيمتها في كونها تفتح نقاشا داخليا حول قضية من القضايا الساخنة المطروحة داخل الصف الاسلامي وهي بهذا تجعلنا أمام تحمل مسؤولياتنا في ارساء ثقافة الحوار الداخلي قبل أن نفتح نقاشا مع الآخر أي خارج الصف الاسلامي، فنحن مطالبون بفتح هذا النقاش على مستوى الصف الاسلامي لأن عجزنا عن فتح حوار بناء بيننا جعلنا أمة غير قادرة على فتح هذه النقاشات والحوارات مع غيرنا مع من أمم العالم فإذا كان الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الدين على رسوله وجعل فيه متسعا حتى لغير معتنقيه، لإعطائهم الحرية بأن يؤمنوا بما جاء فيه، أو يردّوه لقوله تعالى: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" وقوله تعالى: "لا إكراه في الدين". جعلناه نحن بغياب هذا النقاش والحوار ضيقا حتى على معتنقيه. ومن هنا أجدد الشكر للمركز على هذه الالتفاتات، وكما تلاحظون أردت هذا العنوان لكلمتي " ***السلفية مدرسة فكرية وليست دينا جديدا***". وقد يبدو للوهلة الأولى هذا العنوان أمرا بديهيا، فلا أحد من أهل العلم في الأولين والآخرين ادعى بأن السلفية دين جديد ولكني أردت بهذه التسمية أن أخرجها من التعريفين الذين أريد لها فهناك أعداؤها الذين أراد أن يجعلوها هي الخطر الداهم على الاسلام وأهله ويذهبون من مصطلح السلفية إلى مصطلح الوهابية وهذا الشعار تتبناه ايران وحزب الله والحكومة العراقية الموالية لها من أصل تصفية حساباتها مع دول الخليج وعلى رأسها السعودية و التعريف الذي يريده لها أقطابها على أنها هي الوصية الوحيدة على دين الله في الأرض والمطلوب هو مناقشة السلفية نقاشا محايدا بعيدا عن أجندات الحكومات ومصالحها ولا يفوتنا هاهنا التنبيه الى أن مصطلح السلف

♦ Londra Tearuf Derneği Başkanı, anas@taruf.net

الصالح أو سلف هذه الأمة بالتعريف الذي أطلقه الامام مالك بقوله" *لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به سلفها*" لا ينطبق على النقاش الدائر حول السلفية المعاصرة كمدرسة فكرية تعرف منها وتنكر لها وعليها شأنها في ذلك شأن المدارس الفكرية الاسلامية الاخرى المنتشرة في العالم الاسلامي, وانما يفهم من تعريف الامام مالك هو عودة الأمة الى دينها بالمعنى الذي تركها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله " *تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك*". و المحجة البيضاء هاهنا ليست المظاهر التي يختلف حولها الناس في قصر وطول اللحية أو حلقها أو جلسة الاستراحة وتركها أو كشف وجه المتحجبة وستره و غيرها من النوافل والمستحبات والمسائل الفقهية المختلف فيها بين آراء الفقهاء و لكن الامام مالك أراد بذلك المحجة البيضاء بمعنى حديث جبريل عليه السلام عندما أسن ركبتيه الى ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن الايمان وعن الاسلام الى آخر الحديث وبهذا المعنى كانت ولازالت الأمة سلفية ولا حاجة لدعوتها الى السلفية بمعناها الحركي السياسي المعاصر والله أعلم.

وحتى لا يناقش موضوع السلفية نقاشا متشنجا بعيدا عن الموضوعية فلا بد من أخراجه من التعريف الذي أراده أعداء السلفية على أنها الخطر الداهم فهذه أحكام وتهم محسومة لا ينفع النقاش بعدها. وإذا سلمنا بالتعريف الذي يريده على أنها هي الوصي الشرعي على دين الله أيضا كأننا نعلن نهاية النقاش و تصير كل محاولات الباحثين و طلبة العلم لتقويمها أو انتقادها أو ترشيدها كأنها محاولات لترشيد الاسلام وتقويمه

والمطلوب مناقشة السلفية باعتبارها مدرسة فكرية يناقشها طلبة العلم والباحثون كشأن داخل البيت الاسلامي شأنها شأن المدارس الفكرية الاسلامية الأخرى مثل الديوبندية، الاخوانية، الصوفية وغيرها وبهذا يكون النقاش مثمرا لأننا لا نتناقش في ثوابت هذا الدين وكما قال الامام مالك : "*كلنا يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا المقام*" صلى الله عليه وسلم. وأكبر في الاساتذة الباحثين والدكاترة الذين قدموا هذه البحوث الفلسفية التاريخية المفيدة على مجهودهم العظيم واستسمحهم عذرا إذا أبديت شيئا من مخالفتي للطريقة التي نهجوها في أرواقهم، والتي اعتمدوا فيها في مناقشة السلفية الاسلوب الفلسفي التاريخي البحت، في حين أن مناقشة السلفية كظاهرة مختلف فيها اليوم لا أرى أنها تناقش نقاشا فلسفيا تاريخيا بقدر ما تناقش كظاهرة حركية وسياسية وأول سمات معتنقي السلفية في هذه الايام هو الهداية أو التوبة الجديدة والتمسك الحرفي وهذا له مقدماته وأسبابه وأول مقدماته هي الانطباع الذي يحاول أقطاب أو شيوخ هذه المدرسة أن يعطوه لأتباعهم هو مجموعة من النصوص أو التعريفات التي تعطيهم شيئا من الفوقية أو الامتياز على غيرهم من المدارس الاسلامية الفكرية الاخرى كمحاولتهم الوصاية على مجموعة من المصطلحات التي يتمنى كل مسلم أن يكون

مندرجا ضمنها ومحاولة حصرها على المدرسة السلفية دون غيرها كمصطلح الفرقة الناجية والطائفة المنورة والعقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح وغيرها من المصطلحات التي تعطي لهؤلاء الشباب التائبين الإحساس على أنهم أفضل ممن سبقهم في العمل الإسلامي من الشيوخ أو أهل السابقة من الدعاة والمربين على مستوى مساجدهم أو مدارسهم ومن هنا تنشأ المشكلة بين السلفيين وغيرهم من المدارس الفكرية الإسلامية الأخرى فعندما يبدأ الشاب يتصرف على أنه يمثل الطائفة المنصورة والفرقة الناجية والإسلام الصحيح ثم يبدأ بإطلاق الأوصاف التي تنقص من قدر غيره و التشكيك قد يطلق عليه أوصافا ثقيلة مثل المبتدع أو المنحرف وغيرها وكما تشير بعض الدراسات إلى أن هذه التهيئة النفسية هي المقدمة إلى التنطع ثم إلى التكفير والتفجير ومما زاد في استفحال الظاهرة أنها لاتدار من خلال مرجعية واحدة يمكن الرجوع إليها عند التنازع والاخلاف ولكنها سلفيات متعددة الرموز والمرجعيات وفهي بين الطاعة المطلقة لولي الأمر كما هو الحال مع ما يسمى بالمدخلية وبين الخروج عليه حتى لو أدى ذلك إلى الاقتتال وسفك الدماء كما تفعل القاعدة وهناك من السلفيين من لا يجيز العمل السياسي وتأسيس الأحزاب السياسة كما كان عليه الشيخ الألباني وابن عثيمين تجد السلفية الكويتية توجب على مناضليها الانخراط في العمل السياسي والاحتكام إلى البرلمانات وغيرها من التناقضات والتوجهات على مستوى انتشار هذه المدرسة في العالمين العربي والإسلامي مما يدل دلالة قاطعة على أنها مدرسة فكرية كغيرها من المدارس الإسلامية تصيب وتخطيء وليس بالضرورة هي الفرقة الناجية أو الطائفة المنصورة كما تحاول إقناع أتباعها بذلك والله ولي التوفيق